Des:7ouba
نوفيلا
حطمتي
حصوني
Tamima Nabil
روايات الرومانسية

حطمتي حصوني

بقلم : Tamima Nabil
تصميم الغلاف : 7ouba
تصميم الداخلي : 7ouba
التعبئة و التنسيق : 7ouba

روائع الروايات الرومانسية

حطمتي حصوني

اليوم ليس يوما عادي ... بل هو أكثر الأيام المميزة ،
لكن ليس بالضرورة أن يكون التميز شيئا ايجابيا ...
قد يكون تميزا في السلبية بجدارة ...
اليوم هو يوم مولدها ....
في أسرتها الصغيرة ، لا يعترفون بأعياد الميلاد ، و بالتالي لا يحتفلون بها .....
لكن يظل هذا اليوم مميزا للجميع .... فكلما جاء ، ذكرهم هذا بأنها قد كبرت عاما ... و اقتربت من الشبح المظلم المسمى بالثلاثين ...
و اليوم تحديدا هو أكثرها تميزا ... فلقد كسرت حاجز الثلاثين بالفعل و تحقق أكثر مخاوفهم .....

وقفت مريم أمام المرآة تعدل من وضع حجابها الفضفاض .... فوق عباءة تماثله وسعا ....

مبتسمة و مشرقة لليوم بحماس ، على الرغم من ادراكها للنظرة المتحسرة التي ستجدها على وجه والدتها ما أن تخرج من باب الغرفة ....

لذا أخذت وقتها قبلا في التفاؤل داخل جدران غرفتها الأنثوية البسيطة ....

اليوم ستحتفل بيوم مولدها .... على الرغم من أنها لا تؤمن به كذلك ، لكن اليوم تحديدا هو يوم مميز ...

ستكافيء نفسها على تخطيها هذا الحاجز المرعب ....

أكثر ما يخيفك ما هو الا مجرد وهم حين تصل اليه و تجتازه .....

ابتسمت مريم ابتسامة متألقة ، ثم أرسلت الى نفسها قبلة في المرآة ، قبل أن تأخذ حقيبتها كي تذهب الى عملها ...

خرجت من باب غرفتها على اطراف أصابعها و هي تتمنى لو تسللت خارجة دون أن تراها أمها ، و كادت أن تفلح بالفعل ....

لكن نظرة منها الى الفطور اللطيف المعد على الطاولة البيتية ، جعلها تقف عند باب الشقة بقنوط .... شاعرة بتأنيب الضمير ...

أمها الجميلة .... حتى الآن تعد الفطور لها و لشقيقها .... و تصر على أن يتناولاه كاملا ، و تغضب جدا إن خرج أحدهما دون أن يملأ معدته حتى الإكتفاء .... و هذا الفطور تحديدا كاد أن يتسبب لها في كارثة ذات يوم

منذ بداية عملها ... حيث تناولته من هنا ، لتنام في العمل من هناك ... و قد رآها مديرها في العمل ، فأيقظها وهو يطرق على سطح المكتب مما جعلها تنهض مذعورة ، تفرك عينيها بقبضتها ....

ولولا مزاجه المنتشي وقتها لكان صرفها من العمل فورا ....

و من يومها أقسمت الا يتكرر هذا .... صحيح أنها لم تستطع تحدي أمها ، لكنها تستطيع الذهاب الى عملها سيرا على الأقدام كي تهضم الفطور الثقيل أولا ....

فطبق من الفول و أربع أقراص من الفلافل .... بخلاف المخللات و كوب الشاي بالحليب ، مع ملعقتين من عسل النحل و رغيفي خبز .... يحتاج الى معدة تهضم الحجر ...

عادت مريم تجر أذيال الخيبة و قد انتصر عليها حبها لأمها .... فعزمت على أن تذهب اليها لتقبل يدها كما تفعل كل صباح ... ثم تتناول لقمتين و تهرب سريعا ....

لذا اتجهت الى غرفتها حين لم تجدها في المطبخ و كادت أن تفتح الباب لولا سماعها شيء أثار انتباهها بين والدتها و شقيقها .... فسحبت يدها من على المقبض و هي ترهف السمع رغما عنها ....

فكان أول ما سمعته هو صوت أخيها عمر يقول برجاء

(لماذا أنتِ صامتة يا أمي ؟؟ ..... ألم تسعدي لأجلي ؟!! .....)

ساد الصمت لبضعة لحظات ، ثم وصلها صوت أمها تقول بنبرة مرتبكة ....

(لا اعرف ماذا أقول يا عمر ..... أنت فاجئتني .....)

رد عليها عمر قائلا بإحباط

(ظننتك تنتظرين هذا اليوم فعلا كما تقولين دائما !!
..... لكن ما يبدو أمامي الآن هو العكس تماما ...)

قالت أمه بنبرة أكثر اختناقا

(أبدا يا حبيبي ، بل هو اليوم الذي تتمناه كل أم .....
لكن .....)

رد عليها ابنها يقول بلهفة

(لكن ماذا ؟!!! ..... أنتِ حتى لم تسأليني عن عبير
..... إنها رائعة يا أمي ، رائعة بكل ما في الكلمة من
معنى .... يكفي أنها قبلت بظروفي ووافقت أن تسكن
معنا هنا بعد الزواج ... من أخرى غيرها قد تتحمل هذه
الظروف في أيامنا الحالية ..... إنها من أسرة مستواها
كمستوانا تماما ، لذا والدها متفهم و غير متطلب أبدا
..... و فوق هذا كله ..... أنا أحبها يا أمي ، لم أشعر يوما

بأنني أحب فتاة كما جذبتني عبير .... برقتها و جمالها و تقديرها لظروفي .....)

تسمرت مريم تماما أمام الباب و هي تسمع تلك المفاجأة الغير متوقعة ... بينما ردت أمه بصوتٍ قانط

(يبدو أنكما قد اتفقتما على كل شيء مسبقا !! .....)

الصقت مريم أذنها بالباب أكثر ، فسمعت عمر يرد بخضوت و تردد

(كان لابد أن أوضح لها ظروفي كاملة يا أمي قبل أن أفاتحك في الأمر .. فربما رفضت هي و أسرتها .. أصدقيني القول يا أمي ، لماذا تبدين غير سعيدة بهذا الشكل ؟!!....)

صمت ... صمت .... صمت ....

حتى ظنت مريم أن أمها أدركت تصنتها عليهما ، فبدأت تتكلم مع شقيقها بلغة الإشارة ....

الا أن ظنها كان خاطئا ، فقد سمعت صوت أمها و هي تنطق بكلمة واحدة فقط ...

(مريم .....)

تصلب كل عصب في جسد مريم و هي تسمع اسمها بنبرة أمها المتحسرة ، فشعرت بقلبها يغوص بين أضلاعها .... بينما الكآبة تملأ روحها بثقل غريب ...

أما عمر فرد بصوتٍ باهت

(كما توقعت .....)

قالت أمره بنبرة قلقة

(يا ابني لا أريد أن أفسد لك فرحتك ، لكن اختك كسرت حاجز الثلاثين ... و حتى الآن لم يتقدم لها سوى

ثلاثة خُطاب فقط ... و الثلاثة كما تعرف رحلوا دون رد بالموافقة و لم نراهم بعدها ... كل منهم أتى مع والدته بناء على ترشيح خالتك فوزية .... و على ما يبدو كانوا يتوقعون ملكة جمال ....)

رد عمر بنبرة حادة مدافعة

(مريم جميلة يا أمي .....)

شعرت مريم بغصة في حلقها و هي تسبل جفنيها بينما ردت أمه متنهدة ...

(لكنها ليست على مستوى توقعات الخطاب .....)

رد عمر بحرارة و تعاطف

(يا أمي لا تقولي هذا ..... مريم لا تزال شابة ، و ستجد نصيبها ..... إنها فقط ...)

قاطعته أمه تقول بخوف و قلق

(كيف يا ابني ..... أنت تعلم أننا بعد وفاة والدك ، بتنا أسرة صغيرة منغلقة جدا .... لا نعرف أحد و لا أحد يعرفنا سوى خالتك فوزية ..... كنت أظن أنها ستجد نصيبها ما أن تخرج للعمل و تفائلت خيرا ، الا أن هذا لم يحدث ..... إنها حتى لم تستطع تكوين أي صداقات ، لعلها تعثر عبرها على زوج .....)

قاطعها عمر قائلا بصبر

(يا أمي الزواج رزق .... يبعث الله حين يأتي الاوان ، ونحن مهما حاولنا ..... لن تجد الا النصيب الذي كتبه الله لها .....)

تنهدت أمه بقوة و هي تقول بنبرة حزينة شبه يائسة

(و نعم بالله ..... لكن ..... لا أستطيع تخيل كسر خاطر أختك و أنت الأصغر تتزوج قبلها .... ليس هذا

فحسب ..... أنت تريد أن تأتي بعروسك لتسكن معنا .....
كيف ستكون مشاعرها حينها ؟!! .....)

ساد صمت ثقيل مخيف ، .... طويل جدا ، بينما نبضات قلب مريم تزداد سرعة و قسوة موجعة ... الى أن سمعت صوت عمر يقول في النهاية بنبرة بطيئة .... مختنقة

(يبدو أنني كنت أنانيا جدا ..... لقد أعمى الحب قلبي عن الإحساس بمريم ..... بينما هي كانت تضعني دائما قبل كل أولوياتها ....يبدو أنني ما أن التحقت بالعمل و وجدت الراتب الذي أستطيع به إعالة الفتاة التي أحب ، خطف بريقه عيني .... و نسيت حين كانت مريم تعطيني ربع راتبها كل شهر ، لأشتري به ما أحب بينما الباقي للبيت ..... لقد كانت هي رجل الأسرة حتى استطعت الوقوف على قدمي ...)

أطرقت مريم برأسها و قد غشت غلالة من الدموع عينيها ، ثم ابتعدت عن الباب مسرعة ، حريصة الا تصدر صوتا باقدامها ذات الحذاء الأرضي البسيط الرقيق الذي اعتادت لبسه ...

بعد ربع ساعة خرجت أمها و عمر ..... ليجداها جالسة تتناول فطورها ، بينما نظرت اليهما مبتسمة متذمرة و هي تقول ببساطة

(شعرت بالجوع فلم أستطع انتظار انتهاء اجتماع القمة الخاص بكما ..... إن لم تسرعا و تجلسا معي بعض الوقت فلن تجداني .... أمامي بالضبط عشر دقائق لأخرج بعدها ....)

تظاهرت أمها بالإبتسام ، بينما قال عمر مدعيا الإستفزاز

(لو أعرف أين يذهب كل هذا الطعام الذي تأكلينه كالتنين ؟!! .....)

ردت مريم و هي تقطم شطيرة الفول التي ملأتها للتو

(يذهب في الحمام .... كدورة حياة أي كائن طبيعي .... أين سيذهب غير ذلك ؟!! .....)

جلست أمهما و هي تقول بإمتعاض محذرة

(مريم ..... كفى قرفا ، نحن على وشكِ الأكل .....)

غمزتها مريم و سألتها مبتسمة

(اخبريني أولا قبل الأكل ..... فيما كنتما تتكلمان ؟! ..... هل هناك عريس رابع خلال عشر سنوات ؟!! .... سيكون هذا يوم المنى والله ....)

لم تفتها تلك النظرات القلقة بين عمر و أمها ... بينما أخفض عمر وجهه ، و الذنب باديا عليه بوضوح الشمس ...

عمر الحبيب .... لا يزال كما هو ، ملامحه تفضحه و تحمر أذناه كلما شعر بالذنب و أوجعه ضميره ....

تبدرت ابتسامة أكثر مرحا و هي تقول

(أتعلمين ما أتمناه حقا يا أمي في يوم مولدي الثلاثيني ؟؟ ..... أتمنى لو تزوج عمر قبلي .... لقد عشت حياتي محرومة من وجود أخت لي .... لا أملك سوى هذا الجلف ، الذي ينشر ملابسه الداخلية في غرفتي لأنه محرج من أن تراها ابنة الجيران ، و لا مانع أن يراها جارنا من الجهة الأخرى و هي معلقة في نافذة غرفتي أنا .... لكم أتمنى أن تكون هناك شابة أخرى في البيت ، أتشارك معها أدوات الزينة ... نتحدث سويا في صيحات الأزياء الحديثة ....)

بهت وجه أمها و عمر و أخذا ينظران لبعضهما بنظراتٍ مفضوحة مصدومة ... بينما نهضت مريم من مكانها و

هي تأخذ قضمة أخرى من الخبز الساخن ، ثم رشفت آخر رشفة من كوب الشاي بالحليب و لوحت اليهما قائلة و الطعام لا يزال في فمها

(أراكما لاحقا ..... الى اللقاء ..... أسال الله ، أن يعقد لسانيكما إن تكلمتما في شيء من وراء ظهري ...)

بعد خروجها ، نظرت الأم الى ابنها و سألته برعب

(ترى هل سمعتنا ؟!! .....)

لم يرد عمر على الفور ، بل ظل ينظر لباب الشقة قليلا و قد شحبت ملامحه تماما ، بينما ازداد احمرار أذنيه ... ثم هز رأسه بسرعة قائلا

(لا ..... لا أظن .....إنها مجرد صدفة ....أتمنى هذا ...)

****

جلست مريم خلف مكتبها ، شاردة تماما ... ممسكة بقلم تخط به خطوط عشوائية على دفتر ملاحظاتها و هي تفكر هامسة بقنوط

" الشقة غرفتين و صالة ..... أنا و عمر أخذنا الغرفة الكبيرة بعد وفاة والدنا و بنينا في منتصفها جدار يقسمها الى غرفتين مستطيلتين ضيقتين لكل منهما نافذة .... بينما أخذت أمي الغرفة الصغيرة المتبقية .... اذن و بعد زواج عمر ..... كيف سيتم تدبير الأمر ؟!! ..... هل سيحتل هو و زوجته غرفة أمي و تأتي هي معي ؟!! ..... لكن غرفة أمي تطل على منور ضيق ... و هذا لا يليق بعروس جديدة !! ..... اذن هل تشارك عمر المستطيل الضيق بجوار مستطيلي ؟!!! .... "

اتسعت عيناها من الصدمة و سقط القلم من بين أصابعها و هي ترفع يدها الى وجنتها هامسة بذعر

" يا لهو بالي من الأصوات التي سأسمعها !!!!!! .... لا ، لن يصلح هذا ، أنا فتاة بريئة لم أدخل دنيا بعد ....لن يكون لي مكان في موسم التزاوج هذا .. سأنام على الأريكة ، أكثر احتراما لي ..... "

قطعت أفكارها فجأة صوت احدى زميلاتها و هي تدخل الغرفة التي تضم أربع مكاتب لتهتف بنبرة ملهوفة منتشية

(يا بنات .... يا بنات .... هل سمعتن آخر خبر ؟!! ..... لن تصدقن مطلقا ، لقد انفتحت لنا طاقة السعادة و الهناء ..... أنا غير قادرة على تمالك أعصابي .....)

نظرت اليها مريم بعدم اهتمام ....

منذ التحاقها بالعمل منذ خمس سنوات و قد وجدت نفسها متباعدة و غير متأقلمة مع زميلاتها في العمل ....

فهن مختلفات عنها تماما .... في ملابسهن و زينتهن ... و حتى أحاديثهن ....

كلهن يتمنين الزواج !! ... ثلاث شابات خلف ثلاث مكاتب و مكتبها هو الرابع ....

تصادف أن تكون الثلاث فتيات محبات للزواج و متمنياتٍ له ....

على أنهن أصغر منها عمرا .... فأكبرهن أصغر منها بعامين و تظن أن قطر الزواج قد فاتها ....

و مع صمت مريم المستمر إزاء تلك الأحاديث ... فمنذ البداية شعرن و أنها عبء عليهن في المكتب .....

و كأنها عسكري بشوارب .... لكن وجودها لم يمنعهن من العودة الى حريتهن في الكلام ....

في اعتقادها الشخصي ... تظن مريم أنهن التحقن بالعمل فقط ، أملا في إيجاد الزوج المناسب .....

لم تتخيل أن تكون هناك شابات يملكن نفس فكر أمها تماما ، و التي تكبرهن بحوالي ربع قرن !!! .....

رفعت الفتاتان رأسيهما ، تنظران للثالثة التي دخلت عليهن كالعاصفة بعين تبرق ... و حينها تركتا كل ما يشغلهما و انتبها لها ، فهي دائما تأتي بالفضائح و الأخبار المثيرة ....

الا أن سناء و هذا هو اسمها جرت اليهما و قالت بصوتٍ خافت يهتز سعادة و عدم تصديق

(طارق !!!! .....)

مطت مريم شفتيها بإستهزاء متوقع ... بينما تلقائيا ، خرجت من بين شفاههم التأوهات المبالغ بها كفتيات الرسوم الكارتونية .... هن ساذجات و يعلمن أنهن ساذجات ... و يفخرن بذلك !!! ....

هتفت بها سوسن

(ماذا به ؟!!! ..... هل تزوج ؟!!! ..... قد يحدث لي فقدان ذاكرة جزئي إن تزوج ... أرجوكِ لا تخبريني أنه قد ارتبط !!!!! .....)

هتفت غادة الثالثة بينهن

(ارتبطتش !!! .... لا .... أقسم بالله سأحزن و أحضر أناس ليحزنوا معي ..... و أفسد الحمية التي واظبت عليها لثلاث أيامٍ كاملة .....)

سحبت سناء احد الكراسي و جلست أمامهما لتقول بصوتٍ مشتعل جاد ...

(لم يرتبط بعد .... لكن الصدمة التي لن تتوقعاها ،هي أنه يبحث عن عروس ..... و بطريقة تقليدية !!!!!! ....)

شهقت كلا من غادة و سوسن بصوتٍ عال ... بينما تابعت سناء تقول بصوتٍ متحمس يرتجف

(و الأدهى ..... أنه لا يشترط الجمال !!!!!! .....)

رفعت مريم وجهها تنظر اليهن دون تعبير .... من خلف نظارتها البسيطة ذات الإطار الأسود الرفيع ...

أما هما فقد ذهلا و انكبا عليها بالمزيد من الأسئلة المذهولة المصدومة و كلا منهن تمني نفسها بأن تكون الفائزة بالعريس اللقطة !! ....

لم تهتم مريم من كلامهن ، سوى بكلام سناء فقط و هي تقول بصوتٍ مرتجف من الحماس

(الخبر مؤكد ..... سمعته بنفسي من السيدة عواطف ..... لن تصدقا ، لقد كلفها بأن تبحث له عن عروس محل ثقة ..... و لا يشترط أبدا الجمال ، بل أن الشكل لا يهمه مطلقا !!!! ....)

ارتسم الذهول على ملامحن جميعا .... بينما نهضت مريم و خرجت من المكتب بهدوء ، و كأن القصة لا تعنيها ....

سارت في الرواق الطويل شاردة قليلا ... تتهادى بعبائتها الرمادية الداكنة ذات القماش الناعم الهفهاف ... و حجابها الواسع يكاد أن يصل الى خصرها ... بينما نظراتها مستقيمة فوق وجهها المتناسق الذي لا يمكن وصفه سوى بالوجه العادي .... عادي تماما .... لا يجذب النظر مرتين ....

غير ملفتة أبدا و كأنها النسخة المكررة من ملايين فتيات الشعب .....

تسائلت مريم في نفسها بشرود

ترى لماذا يفكر شاب كطارق في الزواج بتلك الطريقة التقليدية البحتة !! ... و لا يشترط الجمال أيضا !! ....

طارق هو زميل لهم في العمل .... التحق به مؤخرا ، ... شاب جذاب للغاية ، و ظروفه المادية تبدو متيسرة ، لكن ليست بصورة مبالغ بها .... سيارة متواضعة و ملابس أنيقة ....

أجمل ما به هو أنه يمتلك شعرا جذاب المظهر.... و جسده متناسق ، ....لحية مشذبة حول فمه و ... مهندس !!!

لذا هو ببساطة يمتلك التركيبة الساحرة التي تجعل منه .... عريس لقطة !! .....

كل الفتيات ينظرن اليه على أنه العريس المنتظر .... لكن لا أحد يعرف شيء عن حياته الخاصة مطلقا ...

فهو غامض تماما و متحفظ ... يلقي التحية بإختصار .... و لا يرفع عينيه الى أحد مطلقا و كأن كل من حوله غير جديرين بإهتمامه ...

و قد زاد هذا من جاذبيته في أعين الموظفات في المكان ....

فهكذا هن الفتيات دائما ... يغرمن بمن يتجاهلهن عن عمد .... أما مريم فقد كانت تظنه مغرورا للغاية ، ثقيل الدم ... بارد الإحساس ..... و يشبه سمكة القرموط ....

لقد ظنت أن من مثله حين يقرر الزواج ، سيختار عروس أجمل منه الف مرة ....

لكن بصراحة ما سمعته أثار صدمتها هي الأخرى .....

توقفت مريم مكانها لحظة و هي تجد من يشغل أفكارها آتيا من بداية الرواق ....

طارق القرموطي .... اسم عائلته ليس القرموطي ، و إنما هذا هو الإسم الذي يقفز الى خيالها كلما رأته ...

كعادته يسير واثقا من نفسه ... ناظرا أمامه ، بملامحه الثابتة .... و ما أن اقترب منها حتى نظر الى عينيها في لحظة خاطفة ، ثم قال بتهذيب

(السلام عليكم .....)

ثم نظر أمامه و تابع طريقه ..... ظلت مريم واقفة مكانها تنظر الى ظهره وهو يبتعد ، بينما فمها مفتوح كنوع آخر من السمك ...

لماذا لم ترد ؟!! .... لماذا لم ترد ؟!! .....

إنه طارق القرموطي الذي تتجاهله عن عمد كل يوم .... لماذا الآن ارتبكت أمامه و فقدت القدرة على رد تحيته المختصرة ؟!!! .....

أكملت مريم طريقها مطرقة الرأس و هي تحاول تحليل ارتباكها المفاجيء ...

كل هذا لأنها سمعت بأنه لا يشترط الجمال في عروسه ؟!!! ... و أن الشكل لا يهمه مطلقا ؟!! .....

هل داعب هذا عقدة النقص لديها ؟!! ...

رفعت مريم رأسها بعينين حادتين و هي تهمس لنفسها بغضب

" أنا لا أعاني من عقدة نقص أبدا .... أنا راضية عن نفسي و شخصي و شكلي .... و بالتأكيد لست مهتمة بطارق القرموطي ... "

تابعت طريقها بخطواتٍ أكثر سرعة و حدة .... الى أن دخلت لدورة مياه السيدات ، فدخلتها و هي تقنع نفسها بأنها تريد تعديل حجابها ....

وقفت هناك طويلا و هي تعدل الأخطاء الوهمية في هذا الحجاب الذي تعللت به للهرب ... بينما بدت عيناها عميقتين شاردتين و متباعدتين ...

لقد باتت عبئا على أسرتها .... بعد أن كانت هي رجل البيت و عماده ....

صارت الآن و بعد عمل أخيها .... مجرد عبء و عقبة في طريق زواجه ....

عمر ليس في مقدرته شراء شقة في تلك الأيام .... هو لا يمتلك الا راتبه فقط ... مثلها تماما ....

و هي لا تتخيل أبدا أن تكون السبب الذي تقدم العمر بشقيقها الوحيد دون زواج و تضيع أجمل سنوات عمره و ربما الحب الذي ينتظره ...

الأهم من هذا كله .. أن عبير حبيبة عمر ،إن ضاعت من بين يديه ، لن يجد من تقبل أن تسكن مع أمه في هذه الشقة المتواضعة بسهولة .... بصراحة ، و من قبل أن تتعرف عليها تعتبر هذه الفتاة عملة نادرة ..

و يكفي أن عمر يحبها ....

أمسكت مريم بالحوض أمام المرآة .... مطرقة برأسها و قد احتلها الهم و الغم ....

لا تعلم كم مكثت في الحمام ، الا أنها انتبهت لنفسها ما أن دخلت احداهن .... فرفعت وجهها لتجد السيدة عواطف ....

علاقتها بالسيدة عواطف جيدة جدا و تعتبرها الأقرب لها في هذا المكان رغم فارق العمر بينهما

فهي سيدة طيبة و لا تشبه باقي الفتيات ....

ابتسمت عواطف ما أن رأت مريم ببشاشة و هتفت (مريومة ..... أين أنتِ يا فتاة ، لم تحضري اليوم لتناول القهوة معي ككل يوم !! ...)

ابتسمت مريم و ردت بعفوية

(اعذريني اليوم كنت مشغولة البال قليلا ..... لكنك على ما يبدو كنتِ مشغولة انتِ ايضا ... لقد تسببتِ في قلب المكتب رأسا على عقب .....)

ضحكت عواطف دون ان تدعي الفهم ، ثم قالت بمزاح (اكيد بسبب طارق .... لست السبب ابدا ، لم اكد افاتح علية همسا كي تساعدني في البحث له عن طلبه ،

لاجد سناء تشترك معنا في الحوار .... فاغلقنا الموضوع تماما ....)

صمتت و هي تضحك بينما ابتسمت مريم ناظرة اليها دون رد .... ثم قالت متظاهرة بعدم الإهتمام

(لقد تعجبت أن ..... أن هناك من لا يهتم بصفة الجمال .... خاصة إن كان يبحث عن عروس بطريقة تقليدية ...)

ردت عليها عواطف بجدية

(طارق له ظروف خاصة ، لذا يحتاج عروس خاصة جدا ، لا يشترط السن أو الجمال .... و لهذا السبب لن أفكر في فتاة من العمل ، للأسف سيخيب أملهن .....)

ابتسمت مريم بفتور ... دون أن ترد ، بينما كان كل فكرها مشغولا في تلك اللحظة و هي تقول لنفسها

" هل أصاب عواطف العمى المبكر ؟!! ..... الا تراني عروس بنفس المواصفات ، ما شاء الله ... محروسة من العين ..... عروس خاصة ، موجود ..... لا يشترط الجمال ، موجود .... لا يشترط العمر ، موجود و موجود جدا ..... إنها تكاد أن تحسد نفسها من شدة انطباقها على المواصفات المطلوبة .... و كانت تظن أن السيدة عواطف صديقتها و ستكون أول من تفكر بها .... لكن على ما يبدو أنها قد انحدرت عن كل المواصفات حتى السلبية منها ....."

ابتسمت عواطف و ربتت على وجنتها قائلة

(جيد أنكِ لستِ مثلهن ، لهذا أنا أحبك .....)

لم ترد مريم ، بينما اتجهت عواطف للباب ثم استدارت اليها قائلة بمودة

(لا تنسي أن تمري علي اليوم ، كي نجلس سويا قبل انصرافك .....)

أومأت مريم برأسها دون أن تجيب ، و ما أن خرجت عواطف حتى نظرت مريم الى نفسها ثم همست بخفوت

(ماذا بكِ يا مريم ؟!! ..... لماذا تشعرين بالغضب من السيدة عواطف ؟؟!! ..... إنه القرموطي !! ....)

استدارت عن المرآة و هي تدرك أن غضبها ما هو الا قلة ثقة في نفسها ....

لم تتخيل أن تكون مستحيلة الإختيار الى هذه الدرجة ....

هي راضية عن نفسها تمام الرضا ... واثقة من نفسها تمام الثقة ....

لا ينقصها أي شيء مطلقا .... لكن لماذا هي مستحيلة الإختيار بالنسبة لأي شخص ؟!! ....

ما السبب ؟!! .....

****

اسبوعان مرا

و كأن حياتها خلال هذين الأسبوعين قد انقلبت رأسا على عقب ....

أمها دائما صامتة تنظر اليها بحسرة تضاعفت أكثر من مرة خلال أربعة عشر يوما ....

أخاها انطفأ الوهج في عينيه و هو ينظر اليها مبتسما ابتسامة حزينة

بينما هي تبادلهم النظر ، ثم تدخل الى غرفتها في صمتٍ تام ... أو بمعنى أصح الى مستطيلها الخاص ...

و جاء اليوم الذي سمعت به الصاعقة ....

كانت تتعمد التنصت عليهما ، فليسامحها الله لتعرف ما يجري خلف ظهرها ....

فسمعت عمر يقول لأمها بخفوت و بؤس

(انتهى كل شيء يا أمي ..... والد عبير ،طالبني بالإنتظار الى أن تتزوج مريم .... فهو قدم الخير وواقف أن تسكن عبير معنا بعد الزواج .... لكن بعد أن وصفت له الشقة بالتفصيل ، طلب مهلة للتفكير .... ثم صارحني أن الشقة غير صالحة لهذا العدد .... و ترجاني أن أتفهم موقفه .... ووعدني إن لم تخطب عبير حتى زواج مريم .... فسوف تكون من نصيبي ...لكني لن أخدع نفسي ، ألف من يتمنى عبير بجمالها و جمال روحها و تساهل أهلها .....)

رفعت مريم يدها الى فمها ، ثم جرت الى مستطيلها الخاص و ما أن اختفت به حتى أطلقت العنان لدموعها و أخذت تبكي و تبكي و تبكي ... حريصة الا تصدر صوتا ....

بعد أن كانت رجل البيت ....

بعد أن كانت رجل البيت .....

بعد أن كانت .....

****

اليوم .... اليوم سيكون اليوم الذي ستقوم فيه بأسوأ خطأ قد تقترفه فتاة في حق نفسها ...

اليوم ، ستذل نفسها ..... بكامل الإصرار و الترصد و عن قصد ....

هي مجازفة و ستخوضها .....

لقد صلت صلاة استخارة ، ثم استيقظت من نومها عاقدة العزم ....

اليوم ستفعلها .....

سارت مريم ببطىء .... عبائتها تتحرك حول ساقيها .... وجهها باهت قليلا ، لكن عيناها ثابتتان .... قويتان بإصرار .....

وصلت أخيرا الى هدفها ... ثم وقفت للحظات مغمضة عينيها و هي تأخذ نفسا تلو الآخر ....

الى أن رفعت وجهها ثم طرقت باب المكتب بطرقاتٍ هادئة ...

سمعت صوته من الداخل يقول بتهذيب

(تفضل .....)

رسمت مريم على شفتيها ابتسامة جميلة و عدلت نظارتها على عينيها ، قبل ان تفتح الباب و تطل برأسها

للحظات نست كل ما حضرته في رأسها ما أن رفع وجهه اليها و بدا متفاجئا بوجودها أمامه ....

وودت لو تمكنت من الهرب سريعا الى آخر بقاع الأرض .....

لكن ما حدث قد حدث ... و طالما طرقت الباب و رآها ، فقد انتهى الأمر ...

تمكنت بمهارة من ابقاء ابتسامتها اللطيفة على وجهها ، ثم قالت بخفوت

(السلام عليكم ..... هل يمكنني اخذ دقيقة من وقتك ؟.....)

بدا طارق متفاجئا ... الا أنه أشار اليها قائلا بصوت فاتر مهذب

(بالطبع .... تفضلي ..... تحت أمرك .....)

قلبها يغوص بين أضلاعها ... و روحها ترتفع الى أنفها و كأنها في لعبة خطرة من ألعاب مدينة الملاه ...

أمعائها متشابكة و متعقدة .... و هناك دغدغات في باطن قدمها تجعلها ترغب في الضحك بهيستيريا ...

تركت مريم باب المكتب مفتوح ، ثم قالت ببساطة عابثة مزيفة

(كنت أريد الكلام معك في موضوع .... لا يخص العمل ....)

ارتفع حاجبي طارق مندهشا أكثر و أكثر .... الا أنه تمالك نفسه و قال بهدوء

(تفضلي ..... اجلسي أولا .....)

جلست مريم أمامه و هي تتمنى الموت قبل أن تقدم على ما ستقدم عليه ....

بينما كان هو يتأمل جانب وجهها المنخفض و أنفها المرتفع .... و الذي يمنع نظارتها من السقوط على فمها و هي مطرقة وجهها بهذا الشكل ...

كان من الواضح لعينيه أنها تحاول جاهدة تمالك أعصابها ، ثم لم تلبث أن رفعت وجهها لتنظر اليه مبتسمة الا أنها ابتسامة مزيفة .... من الواضح أنها لا تستطيع التمثيل مطلقا ..

و قالت بنبرة عفوية مرحة

(سمعت أنك تطلب عروسا .....)

فتح طارق فمه ، بينما ارتفع حاجباه ..... وهو ينظر اليها بصدمة ....

بينما لعنت هي الغباء الذي جعلها تبدأ الحوار بتلك الطريقة المسرحية و كأنهما أصدقاء قدامى ...

تبا .... تبا .... تبا ....

أخذت نفسا مرتجفا ثم تابعت بنبرة بسيطة لطيفة (آنا آسفة للتدخل ، عرفت فقط أن السيدة عواطف تبحث لك عن عروس و هي صديقتي بالمناسبة ... أرجو الا تكون قد تضايقت من فضولي ....)

لم يرد طارق وهو يتأملها بنظرة صامتة طويلة ... ساكنة .... لا تنم عن أي شيء ...

بينما كان جسدها يتفصد عرقا .... والله لو شتمها و ركلها من هنا فلن تلومه أبدا ...

صحيح أنه يشبه القرموط الا أنها تمادت جدا ... و هذه أول مجازفة تقوم بها في حياتها الساكنة على الإطلاق ..

و على الرغم من العديد من المشاعر السلبية التي تشعر بها تجاه نفسها في تلك اللحظة ... الا أنها كانت تشعر ب ...

بروح غريبة ... من المغامرة ، لم تعرفه قبلا ...

شيئا بدد رتابة أيامها البسيطة الرمادية ....

قال طارق فجأة دون أي مقدمات و بصوتٍ لا يحمل أي تعبير

(هل لديكِ عروس مناسبة لي ؟! .....)

اتسعت عينا مريم و بدت متفاجئة من تفاعله البسيط معها دون أن يحرجها أو أن يطردها .....

الا أنها قالت بسرعة قبل أن تتردد أكثر و بنبرة المتهم المضروب على مؤخرة عنقه في لحظة اعتراف

(ربما ، إن أخبرتني بشروطك .....)

تراجع طارق في كرسيه وهو يتأملها مجددا بينما تود ضربه بأقرب شيء ليدها ...

لماذا يحتاج الى فتراتٍ طويلة من الصمت كي يجيب على كل سؤال ؟!! ...

تنازل أخيرا و قال بهدوء

(أريدها طيبة القلب ... عطوفة .... متفانية ... أريدها تريد الزواج أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم ، لدرجة تجعلها تقبل بالتنازل .....)

عقدت مريم حاجبيها قليلا بقلق ... الا أنه تابع بنبرة اكثر بساطة

(و بالنسبة لي ، لا يهمني كم عمرها أو شكلها ... إن قبلت بي .....)

ابتلعت مريم ريقها بصعوبة و توتر و هي تستمع اليه ، ناظرة الى عينيه لعله يفهم وحده ...

و اللبيب بالإشارة يفهم ....

الا أنا تابع سائلا بهدوء

(هل لديكِ فتاة بهذه المواصفات ؟! .....)

ليس لبيبا على الإطلاق ...

لم تصله الرسالة بعد .... هل هو محدود الذكاء هكذا عادة ؟!! ....

لقد فات أوان التراجع على كل حال .... لذا رفعت وجهها و قالت بصوتٍ ذاهب الأنفاس

(أنا .....)

نطقت الكلمة من ثلاث حروف فرست بينهما و جمدت الجو من حولهما ....

أرادت أن تطبق جفنيها و تكز على أسنانها و هي تهتف كمن ألقى بماءٍ بارد في ظهره في عز البرد

" ياللهي ... ياالهي .... ياللهي ..... "

الا أن من الخارج ظلت ساكنة ... واسعة العينين ... جامدة كتمثال الغباء في ساحة التخلف خلف ميدان الصاعقة .....

قال طارق بنبرة مذهولة متقطعة وهو ينظر اليها بعدم تصديق

(أنتِ ؟!!! ،.....)

أومأت مريم برأسها و هي بنفس ملامح الصدمة دون أن تنطق ... بينما هتف هو و قد تضاعف الذهول على وجهه

(لا ..... لا ..... أنتِ غير مناسبة أبدا .....)

ساد الصمت لبضعة لحظات ، ثم ابتسمت ابتسامة غريبة و هي تنهض واقفة لتقول بخفوت

(أتمنى لك كل التوفيق ، و أتمنى أن تجد من تناسبك و أفضل ..... آسفة لأنني عطلتك ....)

تحركت خطوتين ... لكنها توقفت ، ثم استدارت اليه قائلة و هي تنظر الى عينيه مباشرة

(لي رجاء عندك ..... على الرغم من أن السيدة عواطف صديقتي ، الا أنني اخترت الا أخبرها كي ترشحني كعروس محتملة ..... لأنها و رغم احترامي الشديد لها ، طيبة القلب جدا و يفلت الكلام منها سريعا دون قصد .... ففضلت أن أكلمك بنفسي ... أنت ستعرف في كل الأحوال حتى لو كنت قد أخبرتها .... لذا في

نظري بدت مفاتحتك في الأمر شخصيا ، أقل الخسائر .... و رجائي هو ....)

قال طارق مقاطعا دون ذرة شك

(لن يعرف مخلوق بما دار بيننا .....)

ابتسمت له ممتنة .. بألمٍ و إحراج بالغ ، ثم اتجهت الى الباب ، محاولة الا تقع ....

بينما كان طارق يراقبها وهو يضع قبضته المضمومة على فمه بتوتر ... حتى أنه عض اصبعه يحاول أن يمنع نفسه ... الا أنه ناداها أخيرا

(آنسة مريم .....)

توقفت مريم و يدها على مقبض الباب المفتوح .... بينما أغمضت عينيها متوقعة أنه يريد الإعتذار لها و تطييب خاطرها .... حينها ستنفجر في البكاء أمامه ..

أين تلك الطاقة التي استجمعتها طوال الليل كي تقنع نفسها في حالة رفضه ... بالشعور باللامبالاة ...

تبخرت ... و حل محلها حياء الأنثى الذي أرهقته و مسحت به أرض مكتب القرموطي ...

أجبرت نفسها على الإستدار اليه مبتسمة بلطف ...

الا أنه أشار اليها قائلا برجاء

(من فضلك اجلسي للحظة ..... أريد الكلام معكِ لحظات ...)

أرادت الرفض ، الا أنها آثرت إجبار نفسها على التحمل للحظات إضافية ... فعادت الى كرسيها و هي تشعر بالدوار ..

نظر اليها طارق بضعة لحظات ثم قال أخيرا

(من الواضح أن السيدة عواطف كتومة أكثر مما تظنين .... فهي لم تخبرك عن ظروفي كاملة ....)

رفعت وجهها تنظر اليه بعدم فهم ... فتابع قائلا بهدوء

(في الحقيقة ، أنا أفضل امرأة سبق لها الزواج .... تكون مطلقة أو أرملة ... و تكون محرومة من الأطفال ...و متفرغة بلا عمل ....)

ارتفع حاجبي مريم و هي تنظر اليه بذهول .... بينما تابع قائلا بصوتٍ قاتم

(أنا لدي ثلاث أطفال ... و أريد أم لهم .... و لن يمكنني التكفل بمربية في نفس الوقت .... لذا أريد أمرآة تعتني بهم عناية كاملة .....)

قفزت مريم واقفة و هي تهتف بغضب و قد ثار بداخلها الدم الحامي المجنون و أعمى عينيها

(تريد الزواج لتجد من تخدم أطفالك ؟!! ..... كنت أظنك مغرور فقط ، الا أنني لم أتخيلك بمثل هذا القدر من التبجح .....)

أغمض طارق عينيه دون أن ينفعل قائلا بهدوء

(مريم .....)

الا أنها هتفت بغضب ...

(لا .... لا ..... لا مزيد من الكلام .....)

ابتعدت الى الباب ، لكنها لم تستطع تمالك نفسها فعادت اليه و هي تقول بحدة

(كنت سأعذرك إن أردت الزواج مع التعهد بتوفير مربية لخدمة الأطفال .... لكن لأن دخلك لا يتحمل فضلت الزواج بإمرأة ذات ظروف يائسة تماما ... فتدفع القليل في البداية ، ثم لا تدفع شيئا بعدها ...)

ساد صمت مشحون بينهما ، ثم نظر اليها طارق طويلا ليقول أخيرا بنفس الهدوء ... لكن مع نظرة حزينة نظرت في عينيه

(لا داعي للتجريح يا مريم ..... أعتذر إن كان طلبي قد أهانك ، أخبرتك في البداية أنكِ غير مناسبة ..... أنتِ شابة و أمامك الكثير من الفرص الممتازة ....)

شعرت مريم و كأن دلوا من الماء البارد قد سقط على رأسها ....

و طار غضبها تماما .... حتى بدت كالهمجية أمام تهذيبه و تواضعه .... و الأسوأ تلك النظرة في عينيه ... و الأكثر سوءا ... أنه ناداها بإسمها مجردا دون ألقاب ... و كأن الحديث الخاص بينهما قد رفع الكلفة ....

لقد بدا اسمها جميلا كما لم تسمعه من قبل ....

ضربت نفسها بصفعة افتراضية و هي تأمرها بغضب

" أفيقي .... أفيقي ..... "

أخذت مريم نفسا طويلا و هي تحاول أن تسيطر على إنفعالاتها .... ثم قالت على مضض

(آسفة ..... إنفعلت قليلا .....)

نظر اليها و هز كتفه قائلا

(أقدر موقفك ..... أنت بالطبع فوق مستوى عرضي ..... لكنني حاولت المجازفة ..)

فغرت فمها بذهول

" فوق مستوى عرضك ؟!!! ..... حاولت المجازفة ؟!!! .... قلها مجددا أرجوك ؟!! ... "

هزت رأسها بعنف ... ثم قالت بصوت خفيض متذمر

(من المؤكد لديك حلول أفضل .....)

نظر طارق اليها و ابتسم قائلا

(هل لديكِ أنتِ ؟!! ..... أنا كرجل عازب لا يمكنني الحصول على مربية أثناء الليل ... و أقلق حين أترك أطفالي لإمرأة غريبة تتقاضى راتبها .... و إن تزوجت ، فمصاريف الزواج لن تمكنني من التكفل براتب المربية .... الأطفال حالتهم يرثى لها .... ملابسهم و طعامهم ... والأهم .... أنهم يحتاجون الى أم أكثر من أي شيء آخر .....)

ظلت مريم تنظر اليه صامتة طويلا ، ثم سألته بخفوت

(هل يمكنني سؤالك ..... عن أمهم ؟؟ .....)

تلبدت ملامحه على الفور و أظلمت عيناه حتى أصبح شكله مخيفا ، لكنه قال بإقتضاب

(تزوجت .... و سافرت ..... بعد أن وقعت على ورقة تنازل عن حضانتهم ....)

صعقت مريم ، الا أنها قالت بشك

(هل أجبرتها على التوقيع ؟!!! .....)

أجابها بنبرة منتهية كي تغلق هذا الموضوع

(بل وقعته بكامل إرادتها .....)

أشاح بوجهه جانبا ، فوجدت فرصتها كي تتأمله عن قرب ... للمرة الأولى تلاحظ الهالات تحت عينيه و خطوط الإرهاق على وجهه .... و قميصه مشعث قليلا ...

التفاصيل ...

من بعيد يبدو عريس لقطة .... لكن عن قرب ، تظهر التفاصيل ....

تفاصيل لا يرغب المرء في التعمق اليها ...

التفاصيل ...

التفاصيل هي ما جعلتها ترفض ... و التفاصيل هي التي غيرت رأيها ...

****

بعد شهرين

انحنت مريم الى أمها التي اخذتها بين أحضانها و هي تبكي بعنف ... تضمها الى قلبها و قد تحققت أغلى أمانيها ....

لم تتوقف والدتها عن البكاء للحظة واحدة خلال حفل الزفاف ... و بالطبع لن تتوقف الآن خارج القاعة بعد إنتهاءه ...

اغروقت عينا مريم بالدموع و هي تحاول جاهدة الا تبكي الآن .. بينما نظرت من فوق كتف أمها الى عمر الذي كان واقفا بجوار عبير ...

لقد تمت خطبتهما منذ شهر بأقل التكاليف ... و بصراحة والد عبير كان متساهلا و لا يعوض أبدا ...

عبير نفسها قمة في الجمال ، بعينيها الخضراوين و وجهها المستدير اللطيف ...

و كانت نظراتها الجانبية لعمر أكبر دليل على حبهما الصادق ...

رفعت مريم وجهها و هي ترمش بعينيها ،ماسحة طرفيهما بإصبعها ، ثم استدارت لتبحث عن طارق .... لكنها تسمرت تماما ...

كان طارق واقفا عن بعد ، حاملا طفلته الصغرى ذات الخمس سنوات و التي ترتدي فستان أبيض يجعلها تشبه الدمية .... بينما تحيط عنق والدها بشدة و هي تبكي ....

و بجواره يقف ابنه ذو التسعة أعوام صامتا ، بتعبير مظلم ... أما الطفل الأوسط فقد كان لطيفا ، يأكل قطعة حلوى من مائدة الزفاف ..

لم تجد مريم الفرصة كي تتعرف عليهم تماما ... على الرغم من المقابلات الرسمية التي تمت بينهم ...

لكنها استطاعت استنتاج أن ابنه الأكبر (آدم) ، رافض لهذه الزيجة ...

بينما الطفلة الصغرى (حبيبة) متعلقة بوالدها تعلق مرضي ..

أما الأوسط (عبد العزيز) فترجو من الله أن يكون نصيرها في الحياة ....

أغمض طارق عينيه وهو يشعر بغصة في حلقه ، حين حاولت عمته أن تأخذ الطفلة من والدها بالقوة ، بينما هي تصرخ

(لا أريد .... لا أريد أن أذهب .... أريد البقاء مع بابا)

همس طارق في أذنها

(حبيبة حبيبتي ... ألم نتفق أن تظلي مع العمة رجاء لبضعة أيام معا ، ثم آخذك بعدها ؟!! ....)

لكن الفتاة أخذت تبكي بقوة أكبر

(لا .... لا أريد تركك ، أريد الذهاب معك .....)

حاولت عمته شدها بالقوة فزاد بكاء الطفلة أكثر وتمسك هو بها أكثر .... ليشعر فجأة بكف رقيقة توضع على كتفه ...

استدار طارق ليرى من يمس كتفه ، الا أنه فوجىء بمريم واقفة خلفه بفستان زفافها الجميل و حجابها الشفاف الذي ينسدل فوق صدرها في موجاتٍ أنثوية بديعة ...

حين طال الصمت بينهما قليلا ، قالت مريم و هي تسحب كفها

(دعم يأتون معنا يا طارق .....)

اتسعت عيناه بدهشة ، و بدا غير مصدقا لما تقول الا أنه قال بإرتباك

(لكن يا مريم .....)

ابتسمت ابتسامة صغيرة متزنة و هي تقول

(ستكون عطلة رائعة لنا جميعا ..... و ستكون فرصة كي نعتاد بعضنا ....)

حاول طارق الكلام ، الا أن حبيبة تشبثت به أكثر و قد توقف بكائها فأخذت تمسح وجهها المبلل في ذقن والدها ... و هي تنظر الى مريم بفضول ...

تكلم طارق أخيرا بصوتٍ متردد

(هل أنتِ متأكدة يا مريم ؟؟ .....)

أومأت برأسها مبتسمة ، دون كلمات ....اليها بنظرة إمتنان عميقة ...

و ما أن اقتربت من والدتها مجددا حتى بادرتها قائلة بإعتراض

(لكن يا مريم ..... أنتِ عروس يا ابنتي ..... على الأقل يحق لكِ يومين أو ثلاث ...)

ربتت مريم على كتفها و هي تقول

(لن أبدأ حياتي ببكاء طفلة ينتزعونها قسرا من بين ذراعي والدها يا أمي .... أتذكر يوم فقدت أبي ، لقد انكسر ظهري بعدهما .....)

غامت عينا أمها بالدموع و هي تشدها اليها لتحتضنها بقوة .... و أغمضت مريم عينيها بألم ، الا أن صوت طارق من خلفها يقول

(هيا بنا يا مريم ؟؟ .....)

التفتت تنظر اليه ، فتوتر أمام منظر الدموع في عينيها الا أنها أومأت صامتة ....

****

حين دخلوا الى شقتهم آخر الليل ...

بدا الجميع في حالة إنهاك ، فدخلوا جميعا دون إنتظار ، لأنه بيتهم .... بينما بقت مريم واقفة مكانها مترددة و هي تمسك حافتي الفستان بقبضتين متعرقتين ...

تشعر بنفسها دخيلة على هذه الشقة ....

كانت شقة واسعة لطيفة .... لم يغيرا بها شيئا سوى غرفة النوم فقط .... و ذلك بناءا على إصرار مريم نفسها ...

فحين تقدم طارق لخطبتها من شقيقها ، طلب أن تأتيه بحقيبة ملابسها فقط وهو سيتكفل بجميع مصاريف الزواج ... و تأثيث الشقة من جديد

من المؤكد أنه عرض هذا حين لاحظ تواضع بيتهم و حالتهم المادية الصعبة قليلا ...

و كم بدت الراحة على وجه شقيقها و أمها .... فلم يكن لديهما علم كيف سيتمكنان من تجهيز شقة طارق ...

و كم شعرت مريم بالخزي أمامه ....

لذا أصرت ان تظل الشقة كما هي دون أي مصاريف إضافية ...

و أصر هو على أن يبدل غرفة النوم على الأقل .....

و بينما كانت مريم واقفة مكانها ، تنظر الى الشقة بملامح باهتة .... استدار طارق ناظرا اليها وهو يحمل حبيبة بين ذراعيه ثم سألها بخفوت متوتر

(ألن تدخلي يا مريم ؟؟!! .....)

و مجددا أومأت برأسها دون رد .... ثم دخلت و أغلقت الباب خلفها ، ....

نظر اليها طارق نظرة متخاذلة ، ثم دخل الى غرفة الأطفال دون كلام ..... بينما وقفت مريم مكانها تتجول في الشقة ببطىء و هي تتأمل زوايا بحرية هذه المرة ...

ترى هل ستكون هذه الشقة هي بيتها بالفعل ؟!! .....

شعرت مريم بخوف من المستقبل و ألم من الظروف التي وضعتها في هذا الموقف .....

تحركت بحذر و هي تحاول اللحاق بهم ... و من الباب المفتوح رأت حبيبة و هي واقفة على سريرها بملابسها الداخلية البيضاء ذات القلوب الحمراء .... بينما طارق واقف أمامها يلبسها قميص نومها المنقوش بالقطط .... أما آدم فقد كان في الحمام يغسل أسنانه بالفرشاة ...

من الواضح أنهم أطفال مهذبين و لن تتعب معهم كثيرا ....

شعرت بالخجل لا تدري الى أين تذهب ، الى أن خرج طارق من غرفة الأطفال ، فوقف مكانه وهو يراها تقف في الرواق .... تبادلا النظر للحظات بتوتر ... ثم سألها بخفوت

(لماذا تقفين هنا ؟!! .....)

هزت كتفيها و قالت بخفوتٍ أكبر .....

(لا أعلم الى أين أذهب .....)

عقد طارق حاجبيه قليلا ، ثم قال سألها ...

(ألم تري الشقة من قبل و تعرفين مكان غرفة النوم ؟!! ..... ملابسك متراصة بها بالكامل ...)

أطرقت مريم برأسها دون أن تجيب .... فراقبها طارق طويلا ، و قال بعد فترة متراجعا عن فظاظته

(تعالي معي .....)

و دون أن ينتظر إذن منها ، أمسك بيدها !! ....

سارت مريم خلفه وهي تنظر الى كفها في كفه بفمٍ مفتوح ... إنها المرة الأولى التي يمسك فيها رجل بيدها !! ...

و بدا و كأنها المكان الطبيعي لكفها تماما .... فقد تشكلت أصابعها مع راحته بتلقائية و كأنها اعتادت هذا منذ قرون !! ....

ظلت مريم على حالتها الى أن أدخلها غرفة النوم و اغلق الباب خلفهما .... ثم وقف و بدا مترددا أكثر منها ... و أكثر ارتباكا ....

سحبت مريم كفها منه ببطىء فنظر اليها ، لتشيح بوجهها عنه .....

أخذ طارق نفسا عميقا ، ثم سألها بصوت خافت

(آآآآ ..... هل تحتاجين أن أتركك لتبدلين ملابسك ؟!! .....)

احمر وجهها بشدة و نظرت في الأرض و هي ترتجف فتاة في الخامس عشر .... الا أنها أومأت برأسها دون كلام ...

أومأ هو أيضا برأسه متفهما ، ثم قال متلعثما ....

(س .... سأ ..... سأخرج لأترك لكِ بعض ..... ال .....)

صمت وهو يبدو غير قادرا على تجميع الكلمات .... فأشار الى الباب رافعا حاجبيه ، فأومأت اليه و هي تشير للباب دون كلام ....

حينها خرج من الباب و أغلق بسرعة و كأنه يشكر ربه على فرصة الهرب ...

ظلت مريم واقفة مكانها بحزن و حسرة ... تنظر الى نفسها في المرآة البعيدة و هي تقف بالفستان الأبيض الذي تمنت ارتداءه منذ طفولتها ...

تبدو جميلة الليلة ... على الرغم من زينتها البسيطة الغير متكلفة ، الا أنها بالتأكيد أجمل من ذي قبل ....

رفعت كفيها و هي تفك حجابها بأصابع مرتجفة .. ثم وضعته جانبا و نظرت الى شعرها المضموم في كعكة ملفوفة ...

في الأساس شعرها ليس سيئا أبدا .... يمكن وصفه بالجميل ...

لكنه ليس خرافي الجمال ، لذا قامت بآخر خطوة كانت تتوقع أن تقوم بها .... فقد اقتطعت مبلغا من راتبها و قامت بعلاج شعرها بمادة الكيرياتين ....

فأصبح حريريا تماما !! ....

فكت مريم تلك الكعكة الملفوفة و تركت شعرها الطويل ينسدل على ظهرها ثم وقفت ناظرة الى نفسها ... الى أن همست بخوف

(من أنتِ ؟!! ..... تلك الزينة ليست زينتك .... و هذا الشعر ليس شعرك الحقيقي ... و الفستان ليس فستانك و الشقة ليست شقتك .... حتى هو .... ليس زوجك ، بل تزوجك لأنه كان يريد أرملة كأم لأطفاله فلم يجد

سواكِ ..... من أنتِ ؟! .... أين مريم الواثقة من نفسها ؟!
.... أين هي مريم الراضية عن حالها ؟!! ...)

****

كان طارق يتحرك أمام باب غرفة النوم المغلق متوترا وهو يفرك أصابعه بتوتر ...

لكنه توقف و أرهف السمع قليلا وهو يعقد حاجبيه ، فقد سمع صوت مريم و هي تشتم و تركل و تضرب شيئا ...

ازداد انعقاد حاجبيه بتوجس وهو يسمعها تصرخ فجأة

(قمامة ..... أنت كومة قمامة .....)

تراجع طارق للخلف ناظرا الى الباب المغلق بذهول و ارتياب ... ثم ساد صمت طويل ...

قبل أن يرى مقبض الباب يتحرك و يفتح ...

فتراجع خطوة أخرى وهو يرسم الإتزان على وجهه في إنتظار رؤيتها ...

الا أن الكلمات ماتت على شفتيه وهو يرى تلك الشابة الخمرية ذات الشعر البني القاتم الطويل ....

ارتبكت مريم من نظرة عينيه المتفاجئة ... فلعقت شفتها و هي تقول بصوت مختنق أقرب للبكاء

(لا ..... لا أستطيع فتح الفستان .....)

ظهرت ابتسامة على شفتي طارق و كانت تلك هي الإبتسامة الحقيقية يبتسمها منذ أن عرفته .... الا أنه كتمها بسرعة و تظاهر بالجدية وهو يشير الى الغرفة كي تعود اليها و قال و كأنها يدعوها الى حضور اجتماع مجلس ادارة

(تفضلي .....)

استدارت مريم و عادت الى غرفة بقلب مرتجف ، بينما لحقها هو .... مغلقا الباب خلفه ...

ظلت واقفة تنظر الى صورتها في المرآة عن بعد و يدها على بطنها بينما هو يقترب منها ببطء ... ناظرا الى عينيها في المرآة الى أن وقف خلفها فأسبلت جفنيها ...

لكنها انتفضت ما أن شعرت بأصابعه خلف عنقها ، وهو يبعد شعرها الى كتفها.... و بدأ يفك السحاب ، و قال بصوتٍ أجش خافت

(إنه عالق .....)

رفعت عينيها و هي تنظر اليه ، ثم قالت بإمتعاض

(أعرف أنه عالق ..... لماذا سأطلب المساعدة إن لم يكن عالقا ؟!! .....)

ظل طارق يحاول مع السحاب خلف عنقها حتى جحظت عيناها و كادت أن تختنق فسعلت بقوة ...

حينها رفع عينيه و قال بصوتٍ خشن مختصر

(آسف ..... لست معتادا على التعامل مع .... هذه ال .....)

صمت وهو يتابع مهمته ، بينما نظرت اليه مريم بفضول ...

اليس معتادا على التعامل مع ملابس النساء ؟!! .... كيف كان يتعامل مع زوجته الأولى اذن ؟!! ....

كيف كانت علاقتهما الحميمة ...

عنفت نفسها على هذا السؤال الوقح .... لقد أنجب ثلاث أطفال ... هذا جواب كاف .....

اليس كذلك ؟!! ..... هل كثرة إنجاب الأطفال تدل على حياة حميمية رائعة ؟! ....

تأملته مريم وهو منهمك في مهمته ...

إنه أجمل منها .... حتى مع الزينة و الكيرياتين ، يظل أجمل منها ....

شعرت بالقنوط يملأها من منظرهما معا ...

نجح أخيرا في فكه ، فتنهد مرتاحا وهو يقول ...

(فككته .....)

همست مريم بصوتٍ مختنق ....

(شكرا .... يمكنك أن تغادر الآن .....)

الا أنه كان ينظر الى بداية ظهرها الخمري بصمت ...

فابتعدت مستديرة اليه بسرعة و هي تقول بحدة

(شكرا ..... أستطيع تولي الأمر من هنا ....)

لكنه اقترب منها خطوة و فجأة شعرت بيده على خصرها ، ثم دون مقدمات حاول تقبيلها ...

و كم بدت كإداء واجب ...

بدا كمن هو حافظ و ليس فاهم .....

دفعته فجأة بقوة و هي تهتف

(لا .....)

تراجع عنها طارق ليقول بدهشة

(لماذا لا ؟!! .....)

كانت تنتفض بقوة و ذعر و مشاعر متداخلة لم تستطع تفسيرها ... لكنها قالت بقوة

(أنت تزوجتني لأنك تريدني أم لأطفالك .... و أنا تزوجتك لنفس السبب .....)

عقد حاجبيه و قال بتعجب متجهما

(أي سبب ؟!! .....)

رفعت وجهها قائلة بتحدي

(أريد أطفالك .... أريد أن أكون أما لهم ، .....)

ساد الصمت بينهما طويلا ... وهو ينظر اليها بتعبير غريب ، ثم سألها أخيرا

(و لماذا لم تتزوجي رجلا خالي المسؤولية ؟!! .... فتحصلين على أطفالك ؟؟ .....)

ردت مريم دون خجل من واقع احساسها بعدم الثقة في نفسها

(لم أجد .....)

رفع طارق حاجبيه وهو يكرر كلامها بصوت فاتر

(لم تجدي ؟!! ..... كم عمرك ؟! ..... ثلاثين ، أم أنني مخطئ ؟! ....)

أومأت برأسها بملامح متوترة .... فأومأ هو الآخر ، ثم قال بعد فترة بجفاء

(قفزتِ لأول فرصة زواج ، لمجرد أنكِ لم تجدي عريس ... بينما عمرك ثلاثين عاما فقط ؟!! ....كان عليك الصبر قليلا .... فكما يقول المثل اصبري ، تنالين شيئا نظيفا ....)

لم تضحك مريم و لم تجد لديها حس الفكاهة أبدا .... فأجابت بصوت مختنق

(كان لدي ظروف أقوى مني .....)

ظل طارق ينظر اليها طويلا بصمت و قد بدت ملامحه باهتة ، و عيناه باردتان ...

لكن الباب الذي فتح فجأة جعلهما يلتفتان معا ليجدا حبيبة تفرك عينيها الناعستين و هي تقول بخفوت

(أريد النوم بجوارك يا بابا .....)

اقترب منها طارق ثم جثا على عقبيه وهو يداعب وجنتها الناعمة ، ثم همس لها بخفوت و رقة

(لا يا بابا ..... بات هذا غير ممكنا الآن ....)

بدأت أنفها تحمر على الفور ، و أوشكت على البكاء ، الا أن مريم تدخلت قائلة و هي تقدم منها

(لما لا أقص عليك قصة يا حبيبة و أنا أصحبك الى فراشك ؟؟ ..... قد تعجبك حكاياتي ....)

بدت حبيبة رافضة ، الا أن مريم تابعت بصوت مقنع

(سأقص عليكِ الحكاية ، ثم أعيدك الى والدك كي تنامي بجواره .... ما رأيك ؟؟ ....)

ثم نظرت الى طارق بنظرةٍ حادة تطلب منه أن يؤكد لها كلامها .... بينما هو كان يبادلها النظر بنظرةٍ أكثر تأملا ...

الا أنه قال أخيرا

(حسنا هو وعد ..... اذهبي مع مريم و إن بقيتِ مستيقظة ، تعودين الى هنا ....)

ظلت حبيبة صامتة لكن مريم تقدمت اليها و هي ترفع طرف فستانها ، حتى أمسكت بكفها و هي تقول

(لدي حكاية أبهرت كل من سمعها .....)

ثم تقدمتا الى الباب ، الا أن طارق ناداها قائلا بهدوء

(مريم .....)

" يالهو بالي من مريم الخارجة من بين شفتيه ..... "

استدارت اليه بصمت ، فاقترب منها و أدارها مجددا يرفع سحاب الفستان ببطىء ، وهو يقول بخفوت

(السحاب ..... كنتِ ستخرجين به مفتوحا ....)

ابتلعت مريم ريقها بصعوبة و هي تومىء اليه شاكرة ....

ثم أسرعت خارجة مع حبيبة ...

****

حين أنهت مريم القصة ، نظرت الى حبيبة التي راحت في سباتٍ عميق ...

فداعبت شعرها بلطف .... و ما أن رفعت عينيها حتى وجدت عبد العزيز ينظر اليها من السرير المجاور و من تحت غطائه ...

همست مريم تسأله

(لماذا لا تزال مستيقظا ؟!! .... لقد اقترب الفجر .....)

قال عبد العزيز بصوتٍ مكتنز

(أنا جائع .....)

ابتسمت مريم رغم عنها وهي تنظر اليه بتعاطف .... على الرغم من كل الحلوى التي تناولها في حفل الزفاف الا أنه لا يزال جائعا .... هذا ليس ذنبه إن كانت شهيته مفتوحة قليلا ...

نهضت مريم بحرص من مكانها و هي لا تزال بفستان الزفاف ، ثم قالت بخفوت

(هناك شيء واحد أكيد .... بما أنني عروس ، فهناك طعام عروسين كامل في المطبخ .... تعال لأطعمك ثم تنام مباشرة ....)

قفز عبد العزيز معها مسرعا و اتجها معا الى المطبخ

....بينما حفيف الفستان عاليا مسموعا في سكون الليل ...

و كما توقعت ... كان هناك طعاما فاخرا في انتظارهما .... أعدت منه طبقا ضخما جدا ... ثم سخنته في جهاز التسخين ...

ووضعته بينهما بملعقتين قائلة بإبتسامة لطيفة

(هيا ..... تفضل .....)

أقبل عبد العزيز على الطعام بنهم .... وهي تأكل مراقبة له بإبتسامة ....

إنه مسلي جدا و طريف .... ليس كئيب كوالده أبدا ....

دخل آدم الى المطبخ فجأة لكنه توقف وهو ينظر اليهما بتجهم ، فنظرت اليه مريم مبتسمة و قالت ...

(أنت أيضا جائع على الأرجح ..... اليس كذلك يا آدم ؟!! ...)

رد بإختصار وهو ينظر للأرض بإصرار

(جئت كي أشرب فقط .....)

سحبت مريم معلقة ثالثة و هي تقول بعفوية

(لما لا تشاركنا الحديث ، ثم تشرب و تنام بعدها .....)

بدا آدم رافضا .... الا أنه تنازل في النهاية و أخذ منها الملعقة ليجلس على الكرسي الثالث و بدأ يأكل في صمت ... و جوع .....

كانت تنظر لكليهما بإهتمام ، ثم قالت تسألهما

(كان حفل زفاف جميل .... اليس كذلك ؟.....)

رد عبد العزيز بحماس

(الحلوى كانت رائعة و الشوكواتة الذائبة أيضا .....)

ضحكت مريم و هي تقول مؤكدة

(كانت جميلة فعلا ..... لقد لعقت اصبعي و أنا أمر بجوارها ، أرجو فقط الا تكون الكاميرا قد التقطت صورتي و أنا أفعل ....)

قاطعها آدم وهو يقول متجهما فجأة دون مقدمات

(يقول أبي أنكِ ستكونين أمنا الجديدة ..... و أنا لا أريد هذا ....)

ساد الصمت بين ثلاثتهم ، بينما مريم هادئة تماما و هي تنظر اليه ... ثم قالت ببساطة

(هل قال والدك هذا ؟! ..... اذن والدك مخطىء تماما ، لا يمكن استبدال الأم أبدا ..... أنا هنا فقط كي أساعد ، لا أكثر .....ليس عليك القلق من هذه النقطة أبدا ...)

ظل آدم صامتا ... وهو بالفعل طفل مهذب ، حتى في إعتراضه .....

بينما كان والده المذكور يراقبهما عن بعد .... مكتفا ذراعيه ، و عيناه تتأملانها مليا ....

****

بعد شهر

خرجت مريم من المطبخ مسرعة و هي تجري قائلة

(انتظر يا عبد العزيز ..... لقد نسيت شطائرك ....)

هتف عبد العزيز وهو يحمل حقيبته المدرسية

(بسرعة يا مريم .... ستغادر الحافلة .....)

وضعت مريم الشطائر في الحقيبة التي يحملها ، و وضعت شطائر آدم كذلك و هي تقول له منبهة ...

(لا تترك كفي أخويك يا آدم الى أن تستقلوا الحافلة معا ... و تأكد من وصول حبيبة الى صف الروضة بنفسك .....)

أمسك آدم بكفيهما وهو يقول بجدية

(حسنا .....)

كان طارق يراقبهم عن بعد وهو يجلس على الأريكة ، ثم ناداه مصححا

(" حاضر " يا آدم .... و ليس حسنا .....)

قال آدم معدلا كلامه بإقتضاب

(حاضر .....)

ثم خرج ثلاثتهم و راقبتهم حتى استقلوا المصعد مع مشرفة الحافلة التي كانت تصعد اليهم بطلب خاص من مريم بعد أن أمرها طارق الا تنزل هي .....

أغلقت مريم الباب .... ثم نحنت لتلملم أغراضهم من الأرض أمام عيني طارق المراقبتين لها ....

كانت ترتدي كل يوم فستان بيتي مختلف ...

كلها تظهر قوامها المتناسق ... و شعرها الطويل ينحدر معها كلما انحنت لتجمع شيء ملقى أرضا .....

لكن شعرها كان آخر ما يهمه .... ففستانها البيتي الذي يقترب من ركبتها كان يزداد قصرا كلما انحنت فيميل معه رأس طارق عله يحظى بنظرةٍ مختلسة ...

جسدها الخمري لطيف .... بل لطيف جدا و يثير فيه بعض الرغبات الدنيئة ...

منذ شهر مر على زواجهما وهو يحترم رغبتها في عدم تجاوز حدوده معها .... و أمام هذا ...

تحولت حياته و حياة أطفاله الى ضربٍ من الخيال ...

كان يظن أن هذا النوع من الحياة متواجدا في الأفلام و الروايات فقط .... لكنه الآن يعيشها مذهولا ...

طعامهم معدا في ثلاث وجبات يوميا .... من كان يصدق هذا ؟!!

البيت يتم ترتيبه بالكامل يوميا .... من كان يتخيل هذا ؟!! ....

و الصحون و الأواني يتم غسلها أولا بأول ، فيظل المطبخ نظيفا بإستمرار ... أي نعمة تلك ؟!! ...

ملابسه مغسولة و مكوية ... و الأطفال يخرجون من البيت في منتهى النظافة ...

حتى الفروض المدرسية ، تجلس معهم بمنتهى الحزم الى أن ينتهون منها ...

حين يتشاجرون و يبدأون في ضرب بعضهم ، تقف مريم بصفارة تشبه صفارة الحكم لا يعلم من أين أتت بها .... فتحكم على المخطىء بأن يضع من مصروفه الخاص جزءا في اناء زجاجي ، و آخر الأسبوع يخرجون للألعاب بهذا المال المقتطع ... و بالطبع هو يكمله من جيبه الخاص ....

أكلها أيضا طيب الطعم جدا ....

و رائحة الحمام بعد استحمامها قادرة على أن تتلاعب بعقله .....

و ملابسها الداخليه هلاك !! .....

منذ يومين كان يبحث عن شيء ما .... ففتح جارور عرضي طويل ... ليجد ملابسها الداخليه مطبقة و متراصة بإنتظام ... و لم يستطع التحكم في نفسه وهو يخرجها قطعة تلو الأخرى ليتفرج عليها مبتسما ...

و ما أثار صدمته أكثر ، هو أقمصة النوم الخاصة بالعرائس التي اشترتها لها أمها ...

لم يصدق نفسه وهو يعبث بها ... ليتخيل مريم ذات العباءة الفضفاضة ترتدي له إحداها ....

كانت قطعا لا تترك شيئا للمخيلة ... لكن المخيلة هو كل ما يملكه ...

فكان يجلس مع نفسه طويلا يتخيلها في هذه القطع ... ثم بدأت الصور تتحول الى مشاهد ... و المشاهد الى أحداث .... ثم ينام آخر الليل خائب الرجا ....

نهض طارق من مكانه ببطىء و هي منحنية للأرض تجمع المكعبات في حقيبتها الخاصة ... فوقف خلفها وهو يضع كفه على جانب ساقها برفق هامسا ..

(هل أساعدك ؟! .....)

قفزت مريم واقفة و هي تشهق عاليا و قد احمرت وجنتيها بشدة ووقفت مذعورة أمامه عاجزة عن النطق ....

فرفع حاجبه وهو يسألها مبتسما بخبث

(ماذا بكِ يا مريم ؟!! ..... تبدين مذعورة !! ....)

عجزت عن النطق تماما للحظات طويلة و هي تنظر الى البريق الخاطف في عينيه ، و ما أن وجدت صوتها حتى قالت بإختناق

(س ..... سأذهب لأبدأ في تحضير طعام الغذاء .....)

ثم انطلقت لتجري و هي تنوي تجاوزه ، الا أنه كان أسرع منها فقبض على ذراعها يوقفها أمامه ، ثم وضع كفه على خصرها هامسا بصوتٍ أجش

(الوقت لا يزال باكرا ... و اليوم عطلة عندي ...و الأطفال في المدرسة ...)

هتفت مريم بهلع ..

(ماذا تريد يا طارق ؟!! .....)

رفع يده يداعب بها كتف الفستان البيتي برفق عله يرى المزيد من البشرة الخمرية ... ثم قال أخيرا بخشونة

(لقد طال هذا الوضع جدا يا مريم ..... الا ترين هذا ؟! ....)

هتفت به بقوة و هي تحاول مقاومته

(لقد اتفقنا يا طارق .....،)

لكنه منع مقاومتها وهو يقول بصوتٍ أكثر خشونة و خفوتا ... بينما هو يميل اليها ليشتم رائحة شعرها العطر ...

(أنتِ من اتفقتِ ..... لا أنا ....و أنا تركتك شهر كامل الى أن تعتادي المكان ... و تعتاديني ...)

اقترب بأنفه من شعرها يلامس نعومته وهو يقول

(شعرك ناعم جدا .....)

فهتفت بحدة كي توقفه

(هذا ليس شعري الحقيقي .....)

توقف فجأة وهو ينظر اليها بدهشة ... ثم رفع يده و جذب مقدمة شعرها بقوة ، فصرخت متأوهة .... لكنه ابتسم و قال

(ليس شعرا مستعارا .... لقد شككت للحظة بصراحة ....)

حكت مريم فروة شعرها بأظافرها و هي تقول بغظاظة

(إنه معالج بالكيرياتين .....)

اتسعت عينا طارق بتعجب ، و إن كانت تظن أنه سيشعر بالنفور منها ، فلقد خيب ظنها و ضحك عاليا ليداعب شعرها بأصابعه قائلا

(أنتِ و شعرك المعالج بالكيرياتين رائعين ..... أشكرك لأنكِ بذلتِ هذا الجهد و التكلفة لأجلي ...)

هتفت بحدة

(لم أفعل هذا .....)

نظر اليها عن قرب نظرة ذات مغزى ، فصمتت تماما و هي غير قادرة على الكذب أكثر .... ثم قالت بصوتٍ مختنق

(لابد أنك تسخر مني بداخلك الآن .....)

ارتفع حاجبيه قليلا ، ثم سألها بإهتمام

(أسخر منكِ ؟!! ..... لماذا ؟! .....)

رفعت عينيها الغاضبتين اليه و هتفت

(لماذا تظن ؟!! ..... لأنني لا أمت للجمال بصلةٍ ، و لولا رغبتك في مربيةٍ دائمة لأطفالك لما فكرت في الزواج مني أبدا ....)

ساد صمت طويل بينهما وهو ينظر الى الدمعة الخائنة التي انسابت من عينها على وجنتها ... نظرة عميقة جادة ...

ثم قال بخفوت

(و أنتِ لولا رغبتك في ترك الشقة لأخيكِ كي يتزوج بسرعة ، لما قبلتِ بالزواج ممن هو في مثل وضعي أبدا .....)

نظرت مريم اليه بدهشة و همست بصوتٍ واهٍ محرج

(هل عرفت ؟! .....)

قال طارق ببساطة

(الأمر لا يحتاج لذكاء ..... و كان يجدر بي أن أشعر بإراقة الكرامة أنا أيضا .... الا أنكِ لم تتركي الفرصة لي كي أفعل ..فبسرعة البرق حولتِ حياتي الى قطعة من الجنة بعد أن كانت شبه ضائعة مع الأطفال ..أنا نفسي غير مصدقا حتى الآن ...بت أنا وهم كجرائك المسكينة الطالبة لحنانك و عطفك)

أخفضت مريم رأسها و هي تقول بخفوت و إختناق

(لم يمر سوى شهر واحد فقط .... لا يمكنك أن تحكم على نجاحي من ثلاثين يوم فقط !! ....)

هز طارق رأسه نفيا وهو يقول بهدوء مبتسما

(لم أحكم على نجاحك بناءا على ثلاثين يوما فقط .... بل حكمت عليكِ من تعلق أطفالي بكِ بهذه السرعة ... من كلام أخيكِ عنكِ دائما و في غيابك

..... حكمت عليكِ كونكِ رجل البيت من البداية و حتى النهاية ...)

ابتسمت مريم بسخرية و هي ترفع يدها لتمسح بها دمعة أخرى قائلة

(أنت محق في كوني رجلا .....)

مد طارق يده فجأة و كأنه كان ينتهز الفرصة ليلعب بدناءة ، فداعب منحنياتها وهو يقول بخبث

(لا رجل يملك مثل هذه المنحنيات مطلقا .....)

شهقت مريم بذعر و صدمة و هي تحاول الهرب منه ، الا أنه كان أسرع منها مجددا ، فحملها هذه المرة بين ذراعيه ببساطة ، ثم أغلق شفتيها المعترضتين بقبلة طويلة جدا ... شغوفة جدا ...

هذه المرة كان فاهم أكثر منه حافظا .... فارتخت مفاصلها و لفت عنقه بذراعيها و هي تستسلم لهذه العذوبة ...

و حين رفع رأسه أخيرا زائغ العينين ... همس لها بصوتٍ غير ثابت

(كفى يا مريم ..... أحتاج الى زوجة ، أرجوكِ لا ترفضي ..... عطفتِ على أطفالي بسخاء ، فتعطفي على والدهم أرجوكِ ..... إنه الجرو الأكثر احتياجا ...)

أسبلت مريم جفنيها بصمت .... بينما ابتسم هو وهو يتحرك بها الى غرفتهما ... و سريرهما المتشوق ...

****

في يوم ميلادها الحادي و الثلاثين ....

كان ينظر اليها مستمتعا و هي ترضع طفلتهما الصغيرة .... " جميلة " ...

و ما أن نامت أخيرا ، قامت مريم من كرسيها لتضعها في مهدها برفق ..... بينما همس لها طارق بنبرة متوهجة (هل نامت ؟!! .....)

رفعت وجهها اليه و ابتست تومىء برأسها ، فأشار اليها بإصبعه كي تأتي اليه ....

و بالفعل خلعت روبها و اتجهت اليه لياخذها بين ذراعيه يشدها بين أحضانه وفوق صدره .... يقبلها بنهم ...

لكن حين فتح الباب فجأة ... رماها جانبا وهو يعدل من وضعه ليستقيم جالسا .... ثم قال بعصبية

(ماذا تريدين يا حبيبة ؟!! ..... ألم أنبهك الى ضرورة طرق الباب قبل أن تدخلي ؟! ...)

قالت حبيبة بصوت يختنق من البكاء

(أريد النوم بينكما .....أرجوك يا بابا ..)

تأفف طارق و زفر عاليا .... ثم نهض اليها من فوق مريم يتجاوزها ... الى أن جثا أمام حبيبة وقال بتوسل

(لا يمكن هذا يا بابا .....)

لكن مريم هي من نهضت من مكانها متسلية و هي تنفض شعرها الطويل قائلة بدلال

(لما لا يا بابا ؟!! .....)

التفت طارق ينظر اليها بغيظ وهو يشير اليها بإصبعه قاطعا رقبته ... إشارة على قتلها ...

لكنها لم تخف ، بل ضحكت و اقتربت منهما لتجثو بجواره واضعة يدها على كتفه قائلة بنعومة

(دعها تنام معنا الليلة يا بابا ... لأن حبيبة ممتازة و تحب "جميلة " و لا تغار منها ...)

نظر طارق اليهما بتذمر ... ثم قال أخيرا بإستياء

(حسنا ..... الليلة فقط .....)

رفعت مريم كفها و هي تعده بصدق

(الليلة فقط .....)

فضلت حبيبة مثلها و قالت (الليلة فقط يا بابا .....)

نهض طارق من مكانه وهو يتذمر متمتما

" بابا و ازعاج بابا و من أنجبوا بابا ..... "

نادت مريم تسأله ببراءة

(هل تقول شيئا يا بابا ؟!! .....)

التفت اليها مبتسما بسماجة و قال من بين أسنانه

(لا يا حبيبة بابا .....)

ظنت أنه يخاطب حبيبة ابنته فضحكت بسعادة ....

و بعد وقت طويل نامت حبيبة بينهما أخيرا ... بينما مريم تداعب شعرها ، فمد يده يعبث معها ، الا أنها أبعدته بقوة و هي تشير الى حبيبة محذرة بصرامة .... فزم شفتيه بغيظ .. ثم قال أخيرا بصوت خافت

(لدي هدية لكِ .....)

ارتفع حاجبي مريم بدهشة حقيقية و همست

(هدية !! .... لي أنا ؟!! ..... ما المناسبة ؟!! .....)

ابتسم طارق وهو يفتح الجارور الصغير بجوار السرير ، ثم أخرج منه علبة من القطيفة الزرقاء ... ففتحها لها لتجد بها أجمل و أكبر خاتم من الذهب ... عبارة عن قلبين متشابكين معا ...

نظرت اليه مريم مذهولة ، ثم رفعت عينيها الى طارق و همست بنبرة تذيب القلب تعاطفا معها

(هذا الخاتم لي أنا ؟!!! .... هل أنت جاد ؟! .... ما المناسبة ؟! ....)

رد طارق قائلا بنعومة وهو يبعد شعرها عن وجهها قائلا بنبرة خاصة جدا

(القلب الأول هدية ليوم ميلادك .....)

برقت عيناها بالدموع و هي لا تزال تنظر اليه ذاهلة ، ثم همست بإختناق

(نحن لا نحتفل بيوم مولدي أبدا .....)

رد عليها قائلا بجدية مبتسما

(أنا أحتفل بهذا اليوم الذي كتب لي فيه أن تولد الطفلة التي ستغير حياتي للأبد .....)

سالت الدموع على وجهها ، بينما تابع بخفوت وهو يمسح دموعها بنعومة

(و القلب الثاني ... هدية بمناسبة يوم الحب ...)

شهقت مريم هامسة ببكاء معذب

(أنا لا أحتفل بيوم الحب .....)

رد طارق مؤكدا ....

(أما أنا فأحتفل بالمرة الأولى التي أعترف لكِ فيها بحبي لكِ .....)

أغمضت مريم عينيها وبكت بقوة ، الى ان انحنى اليها و قبلها بشغف و لهفة ... فرفعت وجهها و هي تهمس ضاحكة من بين بكائها

(أظن أننا في حاجة لمفتاح لهذه الغرفة يا بابا .....)

رفع وجهه مبتسما وهو ينظر الى عينيها بحب هامسا

(حاضر يا حبيبة بابا .....و قلب بابا ... و منقذة بابا ذات الأجنحة الذهبية ....)

تمت